منهج الإسلام في بناء الكرامة الإنسانية وحمايتها

د. سليمان بن ناصر العبودي

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بجامعة أم القرى

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

أما بعد

فمن فضائل الدين الإسلامي ومحاسنه أن شرع لأتباعه شِرْعة ومنهاجا تحفظ به قيمة الكرامة، ويُنْزَع بها فَتيل الامتهان، وتُطفَأ شرارةُ الظلم، وقد جرت عادة البشر بسبب ما جبلت عليه أنفسهم من المشاحة والحرص والسعي في مصالح النفس ونسيان حقوق الآخرين أن تنشأ بينهم نزاعات وخصومات وأفكار تُهْدَر بسببها الكرامة الإنسانية، وقد امتازت هذه القيمة في الإسلام بخصيصة الوسطية بين الأفكار المادية التي تغالي في قيمة الكرامة الإنسانية -ولو ظاهريا على الصعيد النظري- إلى درجة عبادة الإنسان نفسه وتأليهه لذاته، وهي في هذا السبيل تهين الإنسان وتختزله في إطار اللذة، وبين الأفكار الوثنية التي تجعل الإنسان عبدا خاضعا لعبدٍ مثله، فجاء الإسلام بالتوسط بأن لا يهين الإنسان ذاته بعبادة مخلوق مثله، ولا يعبد بالمقابل نفسه وشهواته ورغائبه، وإنما يعبد إلها خالقا رازقا قادرا، ومن رحمة الله تعالى بعباده ولطفه بهم أن أعادت المصادر الأصلية للدين الإسلامي الاعتبار لهذه المعاني بصورة تشريعات دقيقة في مواضع كثيرة، يقول الله تعالى في

القرآن الكريم: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠} [سورة الإسراء:٧٠]، وأما السنة النبوية فالشواهد كثيرة كما سيتبين في البحث بإذن الله، مما يدل ويثبت أن الدين الإسلامي ليس مجرد شعائر فردية جانبية، وإنما هو منهج واقعي شامل للأفراد والمجتمعات في كل مجالات الحياة، وفي ضوء ما سبق اخترت دراسة منهج الإسلام في بناء الكرامة الإنسانية وحمايتها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تأصيل مفهوم وقيمة الكرامة الإنسانية وإبراز مفهوم وقيمة الكرامة في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيقاتها، بيان منهج القرآن والسنة في تقرير الكرامة بمفهومها وقيمها ومنهج حماية القيمة.

خطة البحث:

تناولت الموضوع في المباحث التالية:

- التمهيد وفيه التعريف بمفردات البحث.
- الفصل الأول: مفهوم الكرامة الإنسانية في الإسلام وفيه.
- المبحث الأول: تعريف الكرامة الإنسانية ومرادفاتها.
- المبحث الثاني: مصادرها وأسسها.

- الفصل الثاني: منهج الإسلام في بناء الكرامة الإنسانية وحمايتها
- المبحث الأول: منهج الإسلام في بناء الكرامة الإنسانية
- المبحث الثاني: منهج الإسلام في حماية الكرامة الإنسانية.
- خاتمة ونتائج

التعريف بمفردات البحث:

- بيان المعاني حال إفرادها من أعظم ما يعين على فهمها حال التركيب، ولذلك جرت عادة العلماء والباحثين على الوقوف على معنى اللفظ مفردًا، وذكر معناه في اللغة، ثم الانتقال منها إلى تفسير المعنى الاصطلاحي، ثم الانتقال منهما إلى مفهوم التركيب الإجمالي.
- قال السيوطي في بيان أهمية ذلك: (فَإِن معرفَة المواضعات والمصطلحات من أَوَائِل الصناعات وأهم الْمُهِمَّات، والطالب الذِّهْن الأديب، الرَّاغِب الفطن اللبيب، مَتى فرغ عَن حفظ اللُّغَة واستحضرها، وَضبط أَنْوَاع مفرداته واستظهرها، لَا بُد وَأَن يكون بمصطلحات أهل كل فن خَبِيرا، وبمواضعات كل طبقَة من الْعلمَاء بَصيرًا؛ ليحيط بِهِ إحاطة أولية تكون لَهُ عونا على التَّحْصِيل، ويطلع على مقاصدهم إِجْمَالا قبل التَّفْصِيل، حَتَّى إِذا أَرَادَ استحصان مسائلها، وأحكامها، وَالْوُقُوف على جَمِيع أَنْوَاعهَا وأقسامها، سهل عَلَيْهِ مَا يُريدهُ، وَحصل بِهِ إتقانه وتسديده، فَلم يتلعثم فِي بَيَان جَوَاب، وَلم يتتعتع فِي دراسة علم وَكتاب؛ فَلِكُل طَائِفَة من الْعلمَاء كَلِمَات فِيمَا بَينهم متعارفة، لَا يفهم مُرَادهم

مِنْهَا إِلَّا من بلغ قصدهم أَو شارفه، وَرب كلمة لم يتَجَاوَز فهم اللّغَوِيّ عَن حَقِيقَتهَا، وَلم يعرف متصرفات الأقوام فِي طريقتها؛ فَإِن لَفْظَة (الْوَاجِب) مثلا عِنْد الْفَقِيه غير مَا عِنْد الأصولي، وَلَفْظَة (السَّنَد) عِنْد الْمُحدث غير مَا عِنْد الجدلي..)[1].

- أولا: التعريف بمفهوم القيمة:
- القيم في اللغة جمع قيمة، وأصل الياء في قيمة الواو، فهي من مادة: (ق وم)، التي تدل على معانٍ، منها الاستقامة والتقويم والثبات.
- قال ابن منظور: (القِيمةُ واحدة القِيَم وأَصله الواو لأَنه يقوم مقام الشيء والقيمة ثمن الشيء بالتَّقْوِيم تقول: تَقاوَمُوه فيما بينهم، وإِذا انْقادَ الشيء واستمرّت طريقته فقد استقام لوجه، ويقال: كم قامت ناقتُك؟ أَي كم بلغت؟ وقد قامَتِ الأَمةُ مائة دينار أَي بلغ قيمتها مائة دينار. وكم قامَتْ أَمَتُك؟ أَي بلغت. والاستقامة: التقويم لقول أَهل مكة: استقَمْتُ المتاع أَي قوَّمته)[2].
- وقال في القاموس: (القيمةُ، بالكسر: واحدةُ القِيَمِ. وما لَه قِيمةٌ: إِذا لم يَدُمْ على شيءٍ.

[1] معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

[2] لسان العرب، ابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار النشر: دار المعارف، القاهرة، (ص٥: ٣٧٨٣).

وقَوَّمت السِّلعَةَ واستَقَمتُه: ثَمّنتُه، واسْتَقَامَ: اعْتَدَلَ، وقَوَّمتُه: عَدَّلتُه، فهو قَويمٌ ومُستَقِيمٌ)١.

وأما القيمة في الاصطلاح:

فقد عرفت بِعِدَّة تعريفات، منها:

- مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه٢.

- مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية٣.

- حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه منم السلوك٤.

- مجموعة من المعايير والـأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله كما صورها الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار الأهداف والتوجهات لحياته، تتلاءم مع قدراته

١ القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ.

٢ ينظر: القيم بين الإسلام والغرب، دراسة تحليلية، مانع المانع، دار الفضيلة، الطبعة الأولى (ص١٥).

٣ المرجع السابق (١٥).

٤ المرجع السابق (١٦).

وإمكانياته، وتتجسد من خلال الاتجاهات والاهتمامات أو السلوك اللفظي أو العلمي بصورة مباشرة وغير مباشرة١. والتعريفان الأخيران خاصان بالقيم حسب التصور الإسلامي.

من خلال التعريفات السابقة نستخلص بعض النتائج:

- لا بد للقيمة من مصادر ومنابع تغذيها سواء كانت سماوية دينية، أو أرضية مجتمعية، أو فكرية فلسفية، والقيم في الإسلام مصدرها الأساسي الوحي.
- للقيمة أهمية كبرى في حياة المجتمعات والأفراد، فهي المعيار الحاكم الذي توزن به الأشياء، وهي الموجه الداخلي الباعث للتصرفات والسلوكيات.

وأشهر تقسيم للقيم حسب الدراسات المعاصرة تقسيمها إلى ثلاثة أنواع: الحق، والخير، الجمال.

ثانيا: التعريف بالكرامة:

١ لمزيد من الاطلاع حول التعريفات للقيم، ينظر: القيم بين الإسلام والغرب، دراسة تحليلية، مانع المانع، دار الفضيلة، الطبعة الأولى (ص١٥)، والسلفية وقضايا العصر للزنيدي، دار اشبيليا، مركز الدراسات والإعلام، الرياض (ص٤٥٩)، ونظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الربيع ميمون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨٠م (ص٢٦).

أصل مادَّة الكرامة كرم. يقال: كَرُمَ كَرَمًا فهو كريم، وأكرم إكراما وكرَّمه تكريما، فالتكريم والإكرام بمعنى واحد. والاسم منها كرامة[1]. ويقال كارمه: فكَرَمَه أي فاخره في الكرم فغلبه فيه[2].

والكريم عند العرب هو السَّامي المفضَّل مِن كلِّ شيء، سواء كان بشرا أو شجرا أو حجرا، قال تعالى: {أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧} [سورة الشعراء:٧] معنى زوج كريم: صنف حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام، يقال: نخلةٌ كريمة إذا طاب حملُها، وناقةٌ كريمة إذا كثر لبنُها[3].

[1] ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت – صيدا (ص ٢٦٨).

[2] ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م (ص١١٥٣).

[3] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر–عثمان جمعة ضميرية–سليمان مسلم الحرش، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ.

قال الزبيدي: (يستعمل في الخيل والإبل والشجر، وغيرها من الجواهر)[1]، وكرائم المال: نفائسه، فالكريمة، وهي الجامعة للكمال الممكن في حقها من غزارة لبن، أو جمال صورة، أو كثرة لحم، أو صوف، وهي النفائس التي تتعلق بها نفس مالكها، ويقال: هي التي يختصها صاحبها لنفسه ويؤثرها[2].

ومنه قول الأنصاري رضي الله عنه في الحديث: ((ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني))[3] فهو من الكرم، وهو الجود والخيار[4]. وسيأتي في الفصل الأول التعريف الاصطلاحي لمفهوم الكرامة.

ثالثا: الإنسانية:

الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش. ولذا قالوا: الإنس خلاف الجن، وسموا بذلك لظهورهم. ويقال: آنست الشيء: إذا رأيته. ويقال:

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية (٣٣: ٣٣٥).

[2] مطالع الأنوار مطالع الأنوار على صحاح الآثار، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ، (٣: ٣٥٢).

[3] صحيح مسلم كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تحققا تاما واستحباب الاجتماع على الطعام، ح(٢٠٣٨).

[4] ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الصديقي الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م (٤: ٤٣٩).

آنست الشيء: إذا سمعته. وهذا مستعار من الأول. والأنس: أنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه[1].

وذكر الكفوي أن بعضهم جعل الإنسان (المعنى القائم بهذا البدن ولا مدخل للبدن في مسماه)[2]، وقد أورد الأشعري في مقالاته ما يقارب عشرين قولا في تعريف الإنسان[3].

[1] ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ، (١: ص١٤٥).

[2] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أبو البقاء الحنفي، المحقق عدنان درويش محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت (ص١٩٨).

[3] ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ، (ص٦٠).

والحقيقة أن الإنسان هو الحقيقة المركبة من الجسد والروح. فـ(ـالإنسان عبارة عن البدن والروح معا، بل هو بالروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح كما قال أبو الدرداء: إنما بدني مطيتي فإن رفقت بها بلغتني، وإن لم أرفق بها لم تبلغني)[1].

علة التسمية:

اختُلف في ذكر السبب الذي تعود إليه هذه التسمية، فمن أشهر ما قيل فيها أمران:

الأنس:

قيل: سمّي بذلك لأنه خُلِقَ خِلْقَةً لا قوام له إلا بإيناس بعضهم ببعض. ولهذا قيل: الإنسان مدنيّ بالطبع، من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه[2].

النسيان:

قيل: سمّي بذلك لأنه يأنس بكلّ ما يألفه، وقيل: هو إفعلان، وأصله: إنسيان، سمّي بذلك لأنه عهد الله إليه فنسي[3].

---

[1] مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ، (٤: ٢٢٢).

[2] ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ، (١: ٩٤).

[3] المرجع السابق (١: ٩٤).

فائدة الإضافة:

وأفادت إضافة الكرامة إلى الإنسانية الاختصاصُ والتمييز، أي أن المقصود بالبحث الكرامة المختصة بالإنسان دون غيره من المخلوقات.

رابعا: الأديان:

الأديان جمع دين، الدين: يطلق على عدة معانٍ منها العادة والشأن، فيقال: ما زال ذلك ديني وديدني، أي عادتي، ويطلق الدين على العبادة لله تعالى[1].

(وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، وإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا، وحكما وإلزاما.. المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد)[2].

والدين واحد حقيقةً، أما لغةً فيتعدد مفهومه، لذلك يقول تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾} [سورة آل عمران:٨٥]، فسمى طريقتهم دينا وإن لم يقبل منهم.

الفصل الأول: مفهوم الكرامة الإنسانية في الإسلام.

المبحث الأول: تعريف الكرامة الإنسانية ومرادفتها.

[1] ينظر: تاج العروس (٣٥: ٥٣).

[2] الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ، (ص٣١).

المبحث الثاني: مصادرها وأسسها.

المبحث الأول

تعريف الكرامة الإنسانية ومرادفاتها

التعريف اللغوي:

الكريم صفة مشبهة للموصوف بالكرم، وقد مر بنا في التمهيد أن أصل مادَّة الكرامة كرم، وأن الكريم عند العرب هو السَّامي المفضَّل مِن كلِّ شيء، سواء كان بشرا أو شجرا أو حجرا[1].

ونذكر هنا أن من معاني التكريم: التفضيل. وفي الحديث: إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب[2].

---

[1] ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الصديقي الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م (٤: ٤٣٩).

[2] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية (٣٣: ٣٥٠).

والحديث في صحيح البخاري كتاب التفسير، باب قوله {ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق}، ح(٤٤١١) تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية.

ومعنى الكريم في هذا الحديث: إذا كان الكرم هو لجماع الخير وكثرتها في شيء من الأشياء، فهو قد اجتمع ليوسف صلى الله عليه وسلم منه ما أوجب له الوصف به، والحيازة لمرتبته، والتفرد بما لا يشاركه فيه سواه: شرف النبوة والعلم والجمال وكرم الأخلاق ورياسة الدنيا والدين، مَلَكَ فَسَاسَ الخلقَ، وأفاض الحق، وعدل في الحكم، ودرأ الظلم، وقَدَر فعفا، واستكفي فكفى، وتفرد بكرم النسب فتكرر في آبائه من شرف النبوة ما لا يشاركه فيه غيره؛ فهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي فهو رابع أربعة[1].

والتَّكَرُّم تكلف الكرم، قال الشاعر:

تَكَرَّمْ لِتَعْتَادَ الجميل فلن ترى *** أخا كرم إلا بأن يَتَكَرَّما[2]

وضد الكريم اللئيم، فيقال: رجل كريم، ورجل لئيم[3].

والكريم من أسماء الله الحسنى، فقد ورد هذا الاسم في كتاب الله في ثلاثة مواضع، وذلك في قوله سبحانه: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النحل: ٤٠]، وقوله تعالى:

[1] مطالع الأنوار مطالع الأنوار على صحاح الآثار، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ، (٣: ٣٥١-٣٥٢).

[2] البيت للشاعر الجاهلي المتلمّس، انظر نسبته في لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ، (١٢: ٥١٢)، ولم أقف عليه في ديوانه.

[3] مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م (ص ٢٦٨).

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار: ٦]، وقوله تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٦]. وقد جاء (الكريم) في هذه الآية في بالكسر وليس في القرآن غيرها، وقرأ ابن محيصن وروي عن ابن كثير الكريمُ بالرفع نعتا لله١.

قال ابن القيم في بيان معنى الكريم: (إنَّ "الكريم" هو: البَهِيُّ، الكثيرُ الخيرِ، العظيمُ النفعِ، وهو من كلِّ شيءٍ أحسنُه، وأفضلُه، والله -سبحانه- وصف نفسَهُ بـ "الكَرَم"، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كَثُرَ خيره)٢.

ومن أسماء الله تعالى مما له عُلْقة بالكرم الأكرم، قال تعالى: {ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤} [سورة العلق:٤]. فعرَّف الله تعالى نفسه بأنه الأكرم الذي علم بالقلم، ولهذا مناسبة لطيفة ذكرها الزمخشري، فقال: (وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم، فدلّ على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم)٣.

١ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، (١٢: ص١٥٧).

٢ التبيان في أيمان القرآن، أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، المحقق: عبد الله بن سالم البطاطي، نشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ (ص ٣٢٩).

٣ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ هـ، (٤: ٧٧٦).

بتتبع هذه السياقات والشواهد اللغوية للفظ الكرم والكرامة يتبين اقتران معنى الكرم والكرامة بالتفضيل والتقديم والخيار.

المرادفات:

ومن مرادفات قيمة الكرامة المعنوية في البحث: العزَّة، والرفعة، والإباء، والتفضيل، والإجلال.

وقد جرى مسار البحث على توخي معنى القيمة لا لفظها بالضرورة تبعا لضوابط المشروع بأن يكون للقيمة معالم بارزة في الأديان والفلسفات بلفظها أو ما يدل عليها.

وضد معنى التكريم: الإهانةُ والإذلالُ، قال تعالى: {ومن يهن الله} أي: يهنه الله {فما له من مكرم} أي: من يُذِلُّه الله فلا يكرمه أحد، {إن الله يفعل ما يشاء} أي: يكرم ويهين، فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته[1].

الكرامة في اصطلاح القدماء:

أكثر ما تستعمل الكرامة في التراث عموما، والعقدي خصوصا بمعنى أخص، وهو اسم يشترك مع المعجزة بأنه يعم كل خارق للعادة ويسمونها : الآيات – لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في

[1] انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر–عثمان جمعة ضميرية–سليمان مسلم الحرش، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ، (٥: ٣٧٢).

اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة[1]، فتطلق على ظهور أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة والتحدّي يظهره اللهّ على أيدي أوليائه[2].

١ ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١: ٣١٢).

٢ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت (٢٢٧).

التعريف الاصطلاحي:

الكرامة الإنسانية هي ما وهبه الله لهذا الإنسان من تكريم وتفضيل على سائر المخلوقات، وقد ذكر بعضهم أنه (يطلق اصطلاح الكرامة الإنسانية على قيمة الانسان من جهة ما هو ذو طبيعة عاقلة)[1].

وقد ذكر ابن كثير أن تكريم الله (تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها)[2]، ومن الأفضل العدول في الحدود عن التعريفات التي تخص أنواعًا من التكريم والتفضيل، و(التعاريف تصان عن الإسهاب)[3]، ولذا قال ابن عاشور[4] -رحمه الله- حين ذكر آية التكريم: (فأما منة التكريم فهي مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات

[1] المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت (٢٢٧).

[2] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، (٥: ٩٧).

[3] تدريب الراوي، السيوطي، تحقيق: طارق عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

[4] هو محمد الطاهر بن عاشور المفسر الشهير، المالكي مذهبا، شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، عين شيخا للإسلام، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، له عناية باللغة والأدب، ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد). توفي: (١٣٩٣هـ). ينظر في ترجمته: الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م (٦ص: ١٧٤).

الأرضية)[1]، ثم استرسل ابن عاشور بعد ذكر هذا الحد بذكر بعض ألوان هذا التكريم الإنساني وصوره، فقال: (والتكريم : جعله كريماً ، أي نفيساً غير مبذول ولا ذليل في صورته ولا في حركة مشيه وفي بشـرته ، فإن جميع الحيوان لا يعرف النظافة ولا اللباس ولا ترفيه المضجع والمأكل ولا حسن كيفية تناول الطعام والشـراب ولا الاستعداد لما ينفعه ودفع ما يضـره ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها والقبائح فيسترها ويدفعها ، بله الخلو عن المعارف والصنائع وعن قبول التطور في أساليب حياته وحضارته، وقد مثل ابن عباس للتكريم بأن الإنسان يأكل بأصابعه، يريد أنه لا ينتهش الطعام بفمه بل برفعه إلى فيه بيده ولا يكرع في الماء بل يرفعه إلى فيه بيده)[2]، وهذه ألوان من التكريم لا يفتقر الحدُّ لذكرها.

يتميز المفهوم الإسلامي للكرامة الإنسانية من كون المفهوم غير خاضع للظروف الطارئة على الإنسان، فهو شامل عام، وهذا ما تدل عليه آية التكريم في سورة الإسراء: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} فالآية لم تخص مزية التكريم بجماعة المؤمنين، ولا بالموحدين، ولا بالعرب دون العجم، ولا بظرف زمني ينتهي، ولا بمالٍ أو جاهٍ أو نسبٍ، بل إنَّ هذا التكريم الإلهي شاملٌ وعامٌّ للبشر كافة، وهو موجود

[1] التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، نشر: دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ١٩٩٧م، (ص ١٥: ١٦٥).

[2] المرجع السابق.

في الحاضر والمستقبل، فهو مختص بالنوع الإنساني لا بأفراده، وسيأتي زيادة بيان لذلك في الخصائص والمقارنات إن شاء الله.

العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي:

من الواضح أن ثمة علاقة ظاهرة بين أصل الكرامة في اللغة والاصطلاح، فكما ذكرنا أن السياقات والشواهد اللغوية للفظ الكرم والكرامة تقترن بمعاني التفضيل والتقديم والخيار، فهي كذلك على المعنى الاصطلاحي الذي يمنح الإنسان مزايا ليست لغيره من المخلوقات.

المبحث الثاني: مصادرها وأسسها

للكرامة الإنسانية في الإسلام ثلاثة مصادر:

١. الفِطْرَة:

الفِطرة ليست قسيمة للدين، وإنما جاء الدين موافقا لها، والفطرة بِكَسر الفاء (الخِلقة والفَطر الشَّق، يقال: فَطَرَه فانفطر وتفطر الشيء تشقق، والفطر أيضا الإبتداء والاختراع .. قال ابن عباس رضي الله تعالى: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا

فطرتها أي ابتدأتها)[1]، فالقلب الإنساني مهيأ بطبيعته الأولى لقبول الأخلاق الحسنة والجفول عن ما يضادها، فهو إذا تلقى الخير قبله، وربما تعرض لعوامل التنكيس والتضليل، كما قال أبو حامد الغزالي[2]: (والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً ليس يترجح أحدهما على الآخر وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم)[3].

فطرة الكرامة:

[1] مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت – صيدا، لطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ.

[2] هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي، من كبار متكلمي الأشعرية وفقهاء الشافعية، أقبل على التدريس والفتيا، وصنَّف الكثير، منها: «المستصفى»، و«البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز». ولد سنة (٤٥٠هـ)، وتوفي سنة (٥٠٥هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٦: ١٩١)، تاج الدين السبكي، تحقيق د. محمود الطناحي ود. عبدالفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى (١٣٨٣هـ).

[3] إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار المعرفة، بيروت (٣: ٢٧).

الإنسان مفطور على محبة الكرامة، مجبول على الميل نحو الشعور بتفضيل جنسه ونوعه، وهذه الفطرة مستقرة في الطبيعة الإنسانية، نحو جميع الخلال والخصال المستحسنة لا تفتقر في أصل وجودها لمعرفة تفاصيل التشريع الإلهي للإنسان، فـ (لو لم يكن لهذه القضايا مبدأ في قوى الإنسان لم تشتهر في جميع الأمم فإن المشهور في جميع الأمم لا بد أن يكون له موجب في الفطرة المشتركة بين جميع الأمم)[1]، فإذا جاءت التفاصيل الشرعية تلقاها الإنسان بالقبول لفاعلية الفطرة: (فإن الله فطر عباده على الحق؛ فإذا لم تستحل الفطرة: شاهدت الأشياء على ما هي عليه؛ فأنكرت منكرها وعرفت معروفها)[2]، فالفطرة سابقة لمعرفة الإنسان بدقائق الكرامة الإنسانية في الشرائع، فكما يقرر محمد عبدالله دراز[3] بأن (شريعة الضمير -طبقًا للقرآن نفسه- سابقة في الوجود على شريعة الدين الإيجابية، فلقد نفخ الشعور بالخير وبالشر،

[1] الرد على المنطقيين، ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، لبنان (ص٤٣٠).

[2] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ. (٢٠: ٤٤).

[3] هو محمد بن عبد الله دراز، فقيه، متأدب، مصري، أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها: الدين، ودستورنا الأخلاقي في القرآن الكريم، والنبأ العظيم، ونظرات في الإسلام. وله أسلوب كتابي رفيع، وقد حاز الدكتوراه من جامعة السربون، ومكث في فرنسا إحدى عشرة سنة، ولم يترك ذلك أثرا سلبيا فيه من جهة التخلي عن دينه، بل كان متمسكا شديد الاعتزاز بالقرآن، توفي في لاهور سنة ١٣٧٧هـ، ينظر: الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م، (٦: ٢٤٦).

وبالعدل وبالظلم، في كل نفس إنسانية منذ كان الخلق. أولسنا نشهد في الواقع ظهور الحس الأخلاقي عند الأطفال ابتداء من عمر التمييز، واستمراره خلال جميع الأعمار، حتى لدى الملاحدة؟)[1]. فإذا فتحت هذه النفس بصرها على الشريعة قَبِلَتْها وتلقتها بالقبول، (والله فطر عباده على معرفة الحق، والرسل بعثت بتكميل الفطرة، لا بتغيير الفطرة)[2].

٢. الدين:

من أنعم النظر في الشريعة الإسلامية أدرك أن جانب الأخلاق لا يحتل جزءً هامشيا من فحواها ومضمونها، وإنما قوام هذا الدين الإسلامي الأخلاق الفاضلة، قال تعالى: {۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦} [سورة النساء:٣٦] قال ابن تيمية: (وهذا أمر بمعالي الأخلاق، وهو سبحانه يحب معالي

[1] دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة ١٤١٨هـ (ص٦٧٨).

[2] منهاج السنة النبوية، تقي الدين ابن تيمية الحراني، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ (١: ٣٠٠).

الأخلاق ويكره سفسافها)[1]، ويلاحظ في سياق الآيات أنه ذكر التوحيد ونفي الشرك ثم ثنَّى بذكر الإحسان والأخلاق الفاضلة، وهذا السياق مما يبين شرف الأخلاق وسموقها في الشريعة.

الدين مصدر الأخلاق الفاضلة:

والدين هو مصدر الأخلاق الكريمة، فلا تكاد تجد أثرا مما يستحسنه الناس من الأخلاق إلا وقد نص عليه الشرع بأكمل عبارة وأتم إشارة، (والشريعة الإيجابية لم تأت لنسخ الشريعة الطبيعية، ولكي تعزل السلطة الخاصة التي ثبتت هذه دعائمها. فهي لم تبطل الشريعة القديمة، وإنما صدقتها، ومَدَّتْ في عمرها، وحددتها)[2]، وتزكية النفوس بالأخلاق الفاضلة ومداواتها هي رسالة جميع الرسل، كما يقول ابن القيم[3]: (تزكية النفوس مسلم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه

---

١ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١: ١٩٥).

٢ دستور الأخلاق في القرآن (٦٧٨).

[3] هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي، ثم الدمشقي، تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه ونشر علمه، وتفنن في علوم الإسلام، امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، من مصنفاته: زاد المعاد، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، وتهذيب السنن، ومفتاح دار السعادة، والوابل الصيب، وطريق الهجرتين. توفي سنة (٧٥١هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٥: ١٧٠).

التزكية وولاهم إياها وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليما وبيانا، وإرشادا، لا خلقا ولا إلهاما. فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم)[1].

وليس معنى ذلك بطلان الاستحسان والتقبيح العقليين جملةً قبل ورود الشرائع، فإن (جنس الناس يميل إلى من يتصف بالصفات الجميلة وينفر عمن يتصف بالقبائح)[2]، ولا معناه أيضا ترتيب الجزاء والثواب قبل إقامة الحجة.

وقد أسست الكرامة الإنسانية في الإسلام في المصادر الأصلية الثلاثة: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع.

أولا: القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأساس للأخلاق عموما، فقد ورد في طياته ومضامينه الدعوة إلى تحقيق أصول الأخلاق والقيم وإلزام الأفراد والمجتمعات بها، من نحو قوله تعالى: {۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ

[1] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت (٢: ٣٠٠).

[2] الرد على المنطقيين، ابن تيمية (ص٤٣٠).

بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾} [سورة النساء:٥٨]، وقوله تعالى: {۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة النحل:٩٠]، وقوله تعالى: {خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾}[سورة الأعراف:١٩٩]، وقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾} [سورة التوبة:١١٩]، ومن جملة القيم التي جاء القرآن بتعزيزها قيمة الكرامة الإنسانية، وقد جاءت عشرات النصوص القرآنية التي تؤسس لمعناها الواسع، وسأفصل أقسامها بإذن الله.

ثانيا: السنة النبوية:

من مصادر القيم السنة النبوية، فيلاحظ غزارة النصوص النبوية المتعلقة بجانب الأخلاق، وهي غزيرة كمًّا، عميقة الدلالة كيفًا، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)١، فكأنه حصر أمر البعثة في تتميم صالح الأخلاق، وفي هذا

١ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة رضى الله تعالى عنه، ٢/ ٣٨١، ح(٨٩٣٩)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وحسنه الألباني كما في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٧٥.

الحديث فائدة لطيفة وهي أن الناس كانوا على شيء من الأخلاق الفاضلة قبل البعثة، بل وعلى كثير منها، وكانت الشرائع السابقة تدل عليها، وكان من شأن هذه الشريعة الإتمام والإكمال.

ومن تدبر السياقات النبوية في شأن الأخلاق -والكرامة الإنسانية من جملة الأخلاق- أدرك جلالة هذا الشأن في الشريعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[1]، فربط هذه الأمور الأخلاقية المذكورة في الحديث بأعظم مطلوب، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، وسيأتي الإشارة لبعض النصوص النبوية.

ثالثا: الإجماع:

وهو اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم في عصر على أي أمر كان[2]، وقد أجمع الفقهاء على مسائل تتعلق بالكرامة الإنسانية، من أمثلتها:

---

١ صحيح البخاري كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ح(٥٦٧٢).

[2] حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن العطار، الناشر : دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مكان النشر لبنان/ بيروت.

- اتفقوا على أن المريض الذي يتأذى بالماء ولا يجد الماء مع ذلك أن التيمم له بدل الوضوء والغسل[١]، وفي هذا رعاية للصحة وحفظ حق النفس.
- اتفقوا أن أخذ أموال الناس كلها ظلما لا يحل[٢]، وفي هذا حفظ لحق المال.
- اتفقوا على أن المكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يلزمه شيء من الكفر عند الله تعالى[٣]، وفي هذا حفظ لحق النفس.
- اتفقوا أن خوف القتل إكراه[٤]، وفي هذا حفظ لحق النفس.
- اتفقوا أن الزوج إذا أضر بامرأته ظلما أنه لا يأخذ منها شيئا على مفارقتها أو طلاقها[٥].
- اتفقوا أن إزالة المرء عن نفسه ظلمًا بأن يظلم من لم يظلمه قاصدًا إلى ذلك لا يحل، وذلك مثل أن ينزل عدو مسلم أو كافر بساحة قوم فيقول: أعطوني مال، فلان أو أعطوني فلانًا وهو لا حق له عنده بحكم دين الإسلام، أو قال: أعطوني امرأة فلان، أو أَمَةَ فلان، أو افعلوا أمر كذا، لبعض ما لا يحل في الإسلام، فإنه لا خلاف بين أحد من المسلمين في أنه

[١] مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت (١٨).

[٢] المرجع السابق (٥٩).

[٣] المرجع السابق (٦١).

[٤] المرجع السابق (٦١).

[٥] المرجع السابق (٧٤).

لا يحل أن يجاب إلى ذلك وإن كان في منعه هلاك الجميع[1]، وقال العز بن عبدالسلام: (أجمعت على أن العدو لو نزل على بلد، وخاف أهله من استئصالهم، وسألهم أن يعطوه مال فلان أو امرأته أن ذلك حرام عليهم، مع أن مفسدة الواحد أخفُّ مِن مفسدة الجميع)[2].

٣. العرف الاجتماعي:

تتشكل في المجتمعات -عبر عدة مؤثرات- أعرافٌ وقيمٌ ومُثُلٌ عُلْيا، تخضع لشروط التاريخ والجغرافيا والمؤثرات الأخرى، فهي تستمد من مؤثر الدين والفطرة وغيرهما، وتكون محلَّ توافق جمعي وموضع احترام، ومع مرور الزمن تصبح هذه المنظومة الأخلاقية معيارا وضعيا حاكما لوزن الأفعال، ومن تجاوزها بخروقات وانتهاكات عرَّض نفسه للمساءلة، ومن الممكن اعتبار العرف والضمير مكوِّنا محفزًا، لا مصدرًا مستقلاً.

٤. الضمير الفردي:

[1] المرجع السابق (١٦٥ – ١٦٦- ١٦٧).

[2] المنثور في القواعد الفقهية، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، نشر: وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (٣٤٩).

وهي ما يفرضه الوجدان والضمير على صاحبه من أخلاق ومواقف تتعلق بها، وهي تستمد وجودها من المؤثرات الأخرى كالدين والفطرة والعرف الاجتماعي، وما يكتسبه المرء في حياته، وسائر الملكات الإنسانية إما أن تكون مطبوعة في جبلَّة الإنسان، أو مصنوعة يكتسبها، كما نقل الماوردي رحمه الله بأنَّ (العقل نوعان: أحدهما مطبوع، والآخر مسموع، ولا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه، فأخذ ذلك بعض الشعراء فقال:

رأيت العقل نوعين ** فمسموع ومطبوع

ولا ينفع مسموع *** إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس *** وضوء العين ممنوع)[1].

الفصل الثاني: منهج الإسلام في بناء الكرامة الإنسانية وحمايتها

المبحث الأول: منهج الإسلام في بناء الكرامة الإنسانية

المبحث الثاني: منهج الإسلام في حماية الكرامة الإنسانية.

المبحث الأول: منهج الإسلام في بناء الكرامة الإنسانية.

[1] أدب الدنيا والدين، الماوردي.

للإسلام منهج عظيم في بناء الكرامة الإنسانية، وتظهر معالم هذا المنهج في جوانب مختلفة، ومن أعظم ما يحفظ قيمة الكرامة للإنسان، أمران:

- أولا: معرفته أولا، وهذه المعرفة هي التي أخفقت فيها كثير من الفلسفات لا سيما المادية.
- ثانيا: يتبع هذه المعرفة وينتج عنها منح الإنسان حاجاته ومتطلباته الأساسية، ومن أخفق في تفسير ظاهرة الإنسان فقد قطع الطريق دون معرفة متطلباته.

ففي الشريعة الإسلامية الإنسان (عبارة عن البدن والروح معا، بل هو بالروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح كما قال أبو الدرداء: إنما بدني مطيتي فإن رفقت بها بلغتني وإن لم أرفق بها لم تبلغني)١، وبناء على هذه الحقيقة لم تقتصر الشريعة الإسلامية على توفير حاجات الإنسان المادية من القوت والغذاء والشراب وغيرها، وإنما راعت كثيرا حاجاته النفسية المعنوية، وأولَتْها اهتماما بالغا، وسأذكر مثالا من هذه الحاجات النفسية المعنوية، وذلك لأن الكلام عن منهج بناء الكرامة الإنسانية فيما يتعلق بتوفير الحاجات المادية للإنسان كثير الطَّرق والتناول، وقد أشرت إلى جوانب من ذلك، فأردت أن أشير في هذا المبحث لبعض الجوانب المعنوية:

أولا: مراعاة الطبيعة البشرية النازعة نحو الاجتماع والوصال مع الآخرين:

١ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤: ٢٢٢).

إذا فتشتَ في طبيعة هذا الإنسان، وتفكرتَ في أكثر ما يجري في قلبه السعادة، فستجد أن سعادته تكمن في الوِصال مع الآخرين، فالإنسان كائن تواصلي بطبعه، وجوهر سعادته هو فيما يتجاوز به محيط ذاته، ويحقق صلته بالعالم المحيط به من حوله، وذلك في كل أحواله المختلفة، هذه هي طبيعة الإنسان الجبلية، وهذه حاجة من حاجاته الأساسية، وهي أن يتواصل مع الآخرين، وأن يتواصل معه الآخرون.

فما ذا فعل الإسلام حيال هذه الطبيعة الإنسانية؟

من محاسن الشَّريعة الإسلامية العظيمة أنها راعت فطرة هذا الإنسان في الظمأ الرُّوحي الشديد إلى الوصال مع تبدلات الأحوال، فشرعت العزاء، والعيادة، والتهنئة، والمواساة، وغيرها من العبادات ذات الصبغة التواصلية أو الجماعية، وهذا من جوانب قيمة الكرامة الإنسانية في الشريعة.

فعلى سبيل المثال فيما يتعلق بعيادة المريض، فخمتها الشريعة وحثت عليها، وهذه العبادة تغذي جانب معنوي يلبي حاجة من حاجات الإنسان العميقة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا بن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته

لوجدتني عنده))[1]، ويندرج تحت هذا الجانب المعنوي كثير من الحقوق بين أفراد المجتمع المسلم، كالحقوق الخمسة بين المسلمين.

من جوانب العظمة في المنهج الإسلامي في بناء الكرامة الإنسانية أنها مع توفير حاجات الإنسان الأساسية المعنوية كالتواصل مع الآخرين إلا أنها تعمل على تعليق مشاعره وعواطفه المعنوية بالأمور الباقية على حساب الأمور الفانية، وفي هذا حفظ لكرامته وتعزيز لاستقلاله، ولذا تشير النصوص الشرعية إلى كون كثير من العلائق الدنيوية زائلة كقوله تعالى: {ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧} [سورة الزخرف:٦٧]، وأن الباقي هو ما كان لله وبالله، وكقوله تعالى: {ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠} [سورة الحديد: ٢٠]، وذلك لأن في تغييب هذه الحقيقة غِشًّا وتدليسًا على الإنسان وتعليقا لقلبه وراء السراب المادي الفاني، وصرفا له عن الباقيات التي لا تنقطع، فمن تكريم الله للإنسان أن جاءت التوجيهات الإسلامية على ضربين:

- توجيهات تعزز حاجته للوصال مع الآخرين بنحو ما ذكرنا من أمثلة.

[1] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، ح(٢٥٦٩).

- توجيهات تعمر قلبه بما يبقى ويدوم، وتوفر طاقته وعاطفته المعنوية من الإهدار والضياع وراء السراب.

فإذا تأملت قليلا وجدتَّ أن جميع المحبوبات الدنيوية –التي تقدمها الفلسفات المادية باعتبارها الحاجة الوحيدة للإنسان– إذا تحصَّلت وأسعدت أحبابها بوِصالها، فهي مشوْبةٌ بكدر، مسبوقةٌ بذل، ملحوقةٌ بأذى، مؤذنة بفراق، فإذا كان أسعد الناس هم من تيسَّرَ لهم وِصال المحبوب عن رغبةٍ متبادلة، فهذا الوِصال السعيد وإن طاب زمنا، فهو مهدَّدٌ بفراقٍ ممضٍّ للروح أكثر من سواه، وكلما عظمت المحبة، وطابت اللذة، وكان الفراق أبديًّا، كان الجرح أشد ألما وأبطأ التئاما، ففراق الحبيب المنغرس بالفؤاد يشبه انتزاع الأعضاء المتلاحمة، وهو أكثر ما روّع الأحباب على مرّ الدهور، حتى أكثروا من شكاية لحظات الفراق، وتفنَّنوا في ذكره حتى بالَغَ أحدهم فَقال:

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت * لها المنايا إلى أرواحنا سبلا**[1]

فجعلَ سبيلَ الموتِ منحصِرا في مفارَقَة الأحباب.

ولذلك لِشِدَّة قلقِ المحبين من لحظات الهجر وخوفِهم من ساعات الفراق، ربما تحاشوا توطيدَ كثيرٍ من العلاقات الحميمية تَفَكُّرًا في المآلات واستحضارًا للعواقب، فكم مّن هجرٍ كان سبَبُه الخوفَ من الهجر، وفراقٍ كان باعثُه الخوفَ من الفراق!

[1] البيت للمتنبي، وهذا المعنى ورد بتمامه عن أبي تمام. ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (٢١٧).

رأى الأَمر يُفْضِي إِلَى آخِرٍ *** فصـــــــــــيَّرَ آخِـــــــــــره أَوَّلا[1]

العلائق المؤذية:

وإذا تأمل الإنسان في وِصالِ النَّاسِ مع محبوباتهم الأرضيَّة، وجد عامَّتَهم يشقى بما يحب أضعافَ شقائه بما يَكْرَه، ويتألم بمحبوباته أكثر من تأذِّيهِ بمكروهاتِه، فجرت سنةُ الله في الأحباب على تباعد العصور وتنائي الديار أنَّ مَن كان داخل القلب كان أقدرَ على الأذى، وأمعنَ في الإيلام، وأعلمَ بالـمَقاتِل!

ملحد زاهد:

ولجهل الفلسفات المادية بهذه الحقيقة القرآنية أو لتجاهلها إياها وتهميش مقتضياتها فقد أورثت لأتباعها حيرة واضطرابا وألَمًا لمن عَمَرَ قلبه بما تقدمه للإنسان من مطالب مادية فانية، وفي المقابل تجد بعضَ الملاحدة القدماء الذين لا يرجون جنة ولا يخافون نارا يحث على (الزهد في الدنيا، لأنه يرى أن الاستكثار منها موجِبُ الهم والغم، ويقول: كلما كثر التعلُّق بها، تألمت النفس بمفارقتها عند الموت، فكان هذا غاية زهدهم في الدنيا)[2].

[1] البيت لمحمود الوراق، ينظر: عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، (٣: ٦٢).

[2] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، (٢: ٨٦٦- ٨٦٧).

ووجدت هذه الفكرة الإلحادية القديمة أصداءً في الفكر الإلحادي الحديث حتى ذكر الفيلسوف الفرنسي المعاصر لوك فيري ناقلا: (..التعلُّقُ هو الجنون بعينه، إذا ما اعتبرنا أن حقيقة الكون تكمن في زوال كل شيء وانقطاعه، إذا حدث وارتبطتَّ بشيء ما أو بشخص معين، سيأتي زمن تنتهي فيه هذه العلاقة مخلِّفَةً وراءها كافَّة أنواعِ الأحزان)[1]، فلم يعد الزهد كما يُتَوَهَّم فكرةً دينيةَ المنطلق والباعِث، وإنما هؤلاء ملاحدة يحثون على الزهد والتقلُّل من الدنيا ويرغِّبون فيه، ولكن زهد المؤمنين: ترك ما لا ينفع في الآخرة. وزهد الملاحدة: ترك ما يزيد آلام فراق الدنيا.

وقد يرد هنا تساؤل: إذا كان أُنس هذا الإنسان وسعادة قلبه ولذة روحه هو في التواصل، وكان تواصله بمن يحب وما يحب محفوفًا بكل هذه المنغِّصات الممضَّة والأحزان الـمُوجعة، كفراق الأحباب، وطوارئ تغير أحوالهم، وفناء اللذات، وموت الصداقة في نفوس الأصدقاء، وتشظي الأسرة، وغير ذلك.. فهل سيبقى حياتَه تعيسًا مهدر الكرامة يطارده الإحساس العميق بالضياع؟ وما الطريق -حسب التصور الإسلامي- إلى الوصالِ السرمدي والسكونِ الأبدي؟

ثالثا: دلالة الإنسان على الاتصال الآمن:

ما فتئت الشريعة تكرم الإنسان بأن تدله على الصلة الدائمة الآمنة، وتزيل عن طريقها كل ما يكدر صفوها من الآفات والمنغصات والوثنيات، فكل نصوص الشريعة ناطقة بأن الصِّلة الوحيدة المأمونة الجانب في هذه الحياة الدنيا هي الصلة بالأول والآخر والظاهر والباطن، وذلك

[1] مقال بعنوان: العودة إلى الفلسفات القديمة، منشور على الشبكة.

بإفراده بالعبادة وعمارة القلب بمحبة هذا المعبود الباقي العظيم جل شأنه، وكما يقول بعض الباحثين: (إن أعظم تكريم للإنسان، في المنظور الإسلامي، أن هداه الله إلى التوحيد، ومن التوحيد دعوة الإسلام إلى الكرامة وإلى الحرية، والتوحيد هو تحرير الإنسان من الشرك، ومما يقذفه الشرك في قلب المرء من شعور بالهزيمة والسقوط: سقوط القيمة والهمة والاعتبار وسقوط الشخصية المعنوية والكرامة الإنسانية، ولما كانت كرامة الإنسان في التوحيد، وكان التوحيد هو تحرير الإنسان من الشرك بكل معانيه ودلالاته، فإن الكرامة الإنسانية، تتجلى أسطع وأقوى ما يكون التجلّي في:

١. مقاومة عبادة الأصنام والأوثان، بكل أشكالها وأنواعها.

٢. محاربة الخضوع للأهواء والنزوات، بجميع أصنافها وأضرابها.

٣. منع الانسياق لطغيان المال، على أي وجه من الوجوه.

٤. الوقوف ضد استعباد الإنسان للإنسان أيا كانت الأسباب والدواعي)[١].

ولا تكون العبادة بدون أن تملأ القلب البشري بحقائقها فهي (تتضمن كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يُعظَّم ولا يذلُّ له لا يكون معبودا، والمعظَّم الذي لا يُحَبُّ لا

١ الكرامة الإنسانية في ضوء المبادئ الإسلامية، الدكتور التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الطبعة الثانية ١٤٣٦ه، (ص ٢٤).

يكون معبودا)[1]، يقول سبحانه: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ} [سورة البقرة:١٦٥] فالوصال السعيد الذي لا يكدره شقاء هو اتصال العبد بربه القيوم القائم بتدبير خلقه وركونه إليه، فهو الركن الوحيد الشديد الذي يأوي إليه العبد ولا يخشى من تلك الجهة التهاوي والسقوط، ولا يخاف مفاجأة التنكر وتقلب الجفاء وتلون الصدود، وهذا ليس طرحا وعظيا يروى ثم يطوى، بل هي حقيقة علمية تؤسس لها محكمات الشريعة في مئات النصوص، فهذا القلب التي ينبض بين جنبات الصدر فيه (فاقة لا يسدها شيء سوى الله تعالى أبدا، وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له، وعبادته وحده)[2]، وقد فطر الله سبحانه وتعالى (القلوب على أنه ليس في محبوباتها ولا مراداتها ما تطمئن إليه وتنتهي إليه إلا الله وحده، وإلا فكل ما أحبه المحب من مطعوم وملبوس ومنظور ومسموع وملموس يجد في نفسه أن قلبه يطلب شيئا سواه، ويحب أمرا غيره يتألهه ويصمد إليه[3])، يقول تعالى : {ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [سورة الرعد:٢٨]، ومن عمر قلبه بالمحبوبات الأخرى وجعلها مرتكز فؤاده وغاية أنسه وغفل عن هذه الحقيقة العظيمة أو جعلها على هامش حياته،

[1] التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، يحيى الهنيدي، مكتبة الرشد، الطبعة الرابعة، ١٤٣٦هـ، (٣٨٩).

[2] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض (١: ١٧٠).

[3] التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية (٤٢٣- ٤٢٤).

فإن (سنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكِّدَ عليه محابَّه ويُنَغِّصَها عليه، ولا ينال شيئا منها إلا بنكد وتنغيص، جزاء له على إيثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى)[1].

اعتدال الشريعة:

وليس معنى ذلك إلغاء كافة صور التواصل الأخرى كما مرَّ، فالشريعة لا تلغي متطلبات الفطرة البشرية ولا تمحوها، وإنما غاية ما تفعله تهذيبها وتقويمها وحفظها عن الانتكاس والارتكاس، وكما يقول محمد عبد الله دراز: (القداسة الإسلامية لا تتمثل إذن في لامبالاة مطلقة حيال الفطرة، ولكن في تفضيل مؤكد بصفة خاصة للقيم الروحية)[2]، فالمقصود أن الاتصال الآمن هو في الصلة بالحي القيوم الباقي، وهذا ما دلت عليه الشريعة الإسلامية بكل جلاء.

رابعا: العطاء المعنوي:

ومن تكريم الله للإنسان حَثُّه على اطراح التعلق بالعطاء الدنيوي المادي المحض، وذلك باستحضار صور العطاء الروحي والمدد النفسي العميق الذي لا يقدر بثمن، ففي العلاقة الصادقة بالله عطاء زاخر حتى فيما ظاهره المنع والحرمان، فإن العبد إذا أقبل على ربه وصدق في إقباله جازاه الله بأكثر مما عمل، ومدَّه بأكثر مما كان يرجو من الفضل فإن (العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصودُه طلبَ حاجته، وتفريج كرباته، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع.. ثم يكون في أول

[1] الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة (١: ٨).

[2] دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة ١٤١٨هـ، (ص٦٠١).

الأمر قصده حصول ذلك المطلوب: من الرزق والنصر والعافية مطلقا، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله عز وجل ومعرفته ومحبته، والتنعم بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التي همَّتْه، وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية)[1].

فهذا التواصل الإلهي هو التواصل الوحيد الآمن الذي يبقى ويدوم، ويستمطر غيوث العطاء حتى فيما ظاهره الحرمان، وبقية ألوان التواصل المادية المتاحة أحسن أحوالها أن تخلقَ سعادة عابرةً تشوبها أكدار، ويخلُفُها انقطاع، ويتخللها تحولات، والعاقل يجعل مرتكز مطالبه ما يدوم وينفع، ويقدِّمُه على ما يضمحلُّ ويتبدَّل، وهذا من أعظم جوانب منهج الشريعة الإسلامية في بناء الكرامة الإنسانية.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في حماية الكرامة الإنسانية.

إن الدين الإسلامي لم يكتف ببناء الكرامة الإنسانية وتأسيسها في نفوس الأفراد وإرسائها في نظام المجتمعات، وإنما جعل لها منهجا متكامِلاً لحمايتها واستمراها وبقائها وعدم انقطاعها، وفي هذا دلالة كافية لعظم شأن الكرامة الإنسانية في الشريعة، فقد جعل الإسلام للكرامة حصن حصينا في وجه ذوي الأطماع والنزوات من الأقوياء والجبابرة، فحماية الكرامة الإنسانية بالتشريعات

[1] اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض (٢: ٣١٢ – ٣١٣).

وغيرها، هو قدر زائد على مجرد تقريرها، ولذلك يقول الشيخ محمد عبد الله دراز: (الكرامة نفسها شيء، والشعور بها شيء آخر، والشعور الحاد القوي شيء ثالث، حسن جميل أن تقرر الحق لأربابها وتوضح لهم معالمه، ولكن أحسن وأجمل أن تمهد لهم طريق حمايته، وأن تجعل صورته في نفوسهم شعلة متقدة تدفعهم للذب عنه والاعتزاز به)[1].

وللإسلام منهج متكامل في حماية الكرامة الإنسانية، وأذكر منه بعض المعالم على سبيل الإيجاز:

المعلم الأول: إشعار الإنسان بتفضيله وإيذانه بتكريمه:

وفي هذا نصوص كثيرة سُقْتُ بعضَها فيما سبق، ومنها آية التكريم الإنساني العامة: {۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾} [سورة الإسراء:٧٠]، وآية حُسنِ خَلْقِهِ: {لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة التين:٤]، وغير ذلك من النصوص، فإن في هذه النصوص إشعار للإنسان بنفاسة قيمته وجلالة خلقه، وأن وراء هذا التكريم وحسن التقويم ما يلزم الحفاظ عليه من الضياع أو الانتهاك.

المعلم الثاني: تشريع مبدأ الإلزام والمؤاخذة:

مع إرساء قواعد التكريم الإنساني إلا أنه لا بد من ضبط ذلك بالعقوبات الزاجرة والمحاسبات الرادعة، والإذن للجماعة لتمد رواق نفوذها على الأفراد إذا حادوا عما توجبه الكرامة الإنسانية،

[1] نظرات في الإسلام، محمد عبد الله دراز، مكتبة الفنون والآداب، القاهرة، مصر (٨٢).

فأمر تعالى الجماعةَ أن تعاقب المنحرفين بشتى صور المعاقبات المحددة أو المقدرة، وكان ذلك من إقامة شرع الله في الأرض، فكان من واجبات السلطان المسلم أمران:

الأول: إقامة الحدود والتعزيرات التي من مقاصدها حفظ الكرامة الإنسانية من الانتهاك، قال تعالى: {وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩} [سورة البقرة:١٧٩]، قال السعدي: (تنحقن بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، .. وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية والانزجار، ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكَّر "الحياة" لإفادة التعظيم والتكثير، ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته، إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم[1]).

الحدود لحفظ الكرامة الإنسانية:

من جوانب العظمة في الشريعة الإسلامية عنايتها بحفظ جوانب الكرامة الإنسانية، وذلك بإقامة العقوبات والحدود لحفظ الحقوق، فالحدود الشرعية كثيرا ما تكون حيال من ينتهك شيئا من جوانب الكرامة، فَحُفِظَ حق الحياة بحد القصاص، وحُفِظَ حق المال بحد السرقة، وحُفِظَ حق العرض بحد الزنا وحد القذف، وحُفِظَ حق السلام الداخلي وصلاح المجتمع واستقامته بحدِّ الحرابة، وحُفِظَ حق العَقل وسلامته بحدِّ المسكر، وحفظ حق الدين بحد الردة، وحفظ ما فوق ذلك وما دونه بالتعزيرات التقديرية، فالعقوبات الشرعية من مقاصِدِها حفظ الكرامة الإنسانية.

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (٨٤).

قال العز بن عبدالسلام مبينا هذا المعنى: (ربما كانت أسباب المصالح مفاسد، فيؤمر بها أو تباح لا لكونها مفاسد، بل لكونها مؤدية إلى مصالح، وذلك كقطع الأيدي المتآكلة حفظا للأرواح، وكالمخاطرة بالأرواح في الجهاد، وكذلك العقوبات الشرعية كلها ليست مطلوبة لكونها مفاسد، بل لكونها المقصودة من شرعها كقطع السارق وقطع الطريق وقتل الجناة ورجم الزناة وجلدهم وتغريبهم، وكذلك التعزيرات، كل هذه مفاسد أوجبها الشرع لتحصيل ما رتب عليها من المصالح الحقيقة، وتسميتها بالمصالح من مجاز تسمية السبب باسم المسبب)[1].

من مزايا العقوبات والحدود في الإسلام:

من مزايا العقوبات في الإسلام أن العقوبة ليست مقتصرة على جانب دون غيره، وإنما تجد في بعض العقوبات مراعاة لمناحي مختلفة مؤثرة على الإنسان في تقويم سلوكه، لأن بعض الجناة ربما لا يبالي بالضرب مثلا، ففي تنويع العقوبة أثرا فيه، فالزاني غير المحصن يعاقب بجلده كما قال تعالى: {ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ} [سورة النور:٢]، وبشهود جماعة المؤمنين كما قال تعالى: {وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢} [سورة النور:٢]، ويعاقب القاذف بإسقاط قيمته الأدبية فلا تقبل شهادته ولا يوثق بكلامه، كما قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ

[1] قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، المحقق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، الناشر: دار المعارف بيروت، لبنان (ص١٢).

فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤} [سورة النور:٤]، وفي هذا التنويع معرفة حقيقية بطبيعة الإنسان المركَّبة.

الثاني: إقامة شعيرة الاحتساب بالوسائل الممكنة، كما قال تعالى: {وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤} [سورة آل عمران:١٠٤]، واعتبرت الشريعة الاحتساب من عزائم الأمور {يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧} [سورة لقمان:١٧].

المعلم الثالث: احترام إرادة الإنسان في العقود والتصرفات:

فيشترط التراضي بين الطرفين في عامة العقود كالبيع والنكاح، ويبطل ما كان تحت الإكراه بغير حق، فلا يحل مال امرئ إلا بطيب نفس منه، وقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۝٢٩} [سورة النساء:٢٩]، وقد أرشدت الشريعة إلى حفظ حقوق الناس المالية والبدنية بعدة وسائل منها:

أ. **الأمر بكتابة الديون:** قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ} [سورة البقرة:٢٨٢].

ب. الأمر بالإشهاد عليها: قال تعالى: {وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ} [سورة البقرة:٢٨٢].

ت. تحريم الغش وأكل أموال الناس بالباطل: قال تعالى: {وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨} [سورة البقرة:١٨٨]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يحلبن أحد ماشية امرئ بغير إذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزانته فينتقل طعامه فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعماتهم فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه))[1]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))[2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ((إن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ثم أعادها مرارا))[3].

[1] صحيح البخاري كتاب في اللقطة، باب لا تحتلب ماشية أحد بغير إذن، ح(٢٣٠٣)، وفي صحيح مسلم كتاب اللقطة، باب تحريم حلب الماشية بغير إذن مالكها، ح(١٧٢٦).

[2] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح(٢٥٦٤).

[3] صحيح مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ح(١٦٧٩).

ث. الوعيد على أكل مال المسلم بغير حق: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذ، فإنما أقطع له قطعة من النار))[1].

المعلم الرابع: قطع الوسائل المفضية إلى انتهاك الكرامة الإنسانية:

قطعت الشريعة الإسلامية الوسائل المفضية لانتهاك الكرامة الإنسانية، إمعانًا في العناية بحفظها، ويندرج تحت ذلك عدة تشريعات منها:

تحريم الاقتتال بين المسلمين: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. فقلت: يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه))[2].

تحريم رفع السلاح على المسلم، فعن أبي هريرة يقول قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: ((من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه))[3].

---

[1] صحيح البخاري كتاب الحيل، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت فقضي بقيمة الجارية الميتة ثم وجدها صاحبها فهي له ويرد القيمة ولا تكون القيمة ثمنا، ح(٦٥٦٦)، وصحيح مسلم كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، ح(١٧١٣).

[2] صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما} فسماهم المؤمنين، ح(٣١)، وصحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح(٢٨٨٨).

[3] صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ح(٢٦١٦).

أ. إباحة المحظورات حفاظا على حق الحياة: يقول تعالى: {مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ} [سورة النحل:١٠٦]، قال ابن كثير: (فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله)١.

ب. النهي عن سب الأموات حفاظا على شعور الأحياء: فعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء))٢.

المعلم الخامس: الإعلان الواضح للمساواة بين أفراد الجنس البشري:

كانت مناسبة ذات دلائل قوية وبينة، حينما حج النبي صلى الله عليه وسلم وأعلن بوضوح تام لا لبس فيه إلغاء التفضيلات البشرية ومحو التمييزات العنصرية، وأعلن بكل صراحة في هؤلاء الجموع، فقال: ((يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أي يوم هذا قالوا يوم حرام ثم قال أي شهر هذا قالوا شهر حرام

١ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، (٤: ٦٠٥).

٢ سنن الترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الشتم، ح(١٩٨٢) قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني (١٩٨٢).

قال ثم قال أي بلد هذا قالوا بلد حرام قال فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم قال ولا أدرى قال أو أعراضكم أم لا كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أبلغت قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليبلغ الشاهد الغائب))[1].

المعلم السادس: تحذير الإنسان من أسباب خسران الكرامة الإنسانية:

إن الإنسان بوصفه إنسانا له كرامة يحرم أن تنتهك، ومن تكريم الله له أن جعل له جانبا من الكرامة لا ينزاح عنه، وجانبا آخر قابلا للزيادة أو التخلي، فالكرامة حسب التصور الإسلامي (ليست كرامة مفردة، ولكنها كرامة مثلثة: كرامة هي عصمة وحماية، وكرامة هي عزة وسيادة، وكرامة هي استحقاق وجدارة، كرامة يستغلها الإنسان من طبيعته: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ }، وكرامة تتغذى من عقيدته: {وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}، وكرامة يستوجبها بعمله وسيرته: {وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟}.. أوسع هذه الكرامات وأعمها وأقدمها وأدومها تلك الكرامة الأولى التي ينالها الفرد منذ ولادته بل منذ تكوينه جنينا في بطن أمه.. كرامة لم يؤد لها ثمنا ماديا ولا معنويا، ولكنها منحة السماء التي منحته فطرته، والتي جعلت كرامته

[1] صحيح مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ح(١٦٧٩)

وإنسانيته صنوين مقترنين في شريعة الإسلام١)، فليست الكرامة على درجة واحدة لكل البشر، وفي هذا التمييز تكريم للإنسان، فَعِظَم المكانة والتشريف يأتي معها عظم المسؤولية وعِظَم الجزاء.

ومن أسباب خسران شيء من الكرامة الإنسانية حسب التصور الإسلامي:

أ. كفر النعم: حذر الله تعالى من كفران النعم المسخرة لبني الإنسان، ففي هذا سوء تصرف حيال المواهب الإلهية، قال تعالى: {سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١} [سورة البقرة:٢١١]، وقال تعالى: {* أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨} [سورة إبراهيم:٢٨]، وقال تعالى: {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢} [سورة النحل:١١٢].

ب. الكفر بالله تعالى: فإن الكفر جحود لنعم المنعم، وفيه إيذان بنزول عقوبة الله سبحانه وتعالى وسلب نعمته على عبده، كما قال تعالى عن سبأ: {لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ

١ نظرات في الإسلام، محمد عبد الله دراز، مكتبة الفنون والآداب، القاهرة، مصر (٨١).

غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾} [سورة سبأ:١٧]، فكلما ازداد الإنسان كفرًا وجحودًا تخلى بنفسه عن هذه الهبة الربانية والمنحة الإلهية، فالكافر مع عدم سقوط ما له من حقوق، إلا أنه بالكفر بالله تعالى ينسلخ من التكريم الإلهي بنفسه، وينحط إلى مرتبة الأنعام أو أضل سبيلا، (فالإنسان يحصل له من الإنسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لأجلها خُلق، فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانية، ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية فصار حيوانا أو دون الحيوان[1]).

[1] تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، الراغب الأصفهاني، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٩٨٣م، (٨٠).

الخاتمة:

الحمد لله الولي القادر، فبجزيل نعمائه ووافر آلائه تيسر الانتهاء من هذا البحث، وهذه بعض النتائج:

١. الكرامة الإنسانية هي ما وهبه الله لهذا الإنسان من تكريم وتفضيل على سائر المخلوقات، فالكرامة الإنسانية مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، وهو مفهوم تتعلق به كثير من الأحكام، ويوجد هذا المفهوم حيث وجد الإنسان.

٢. يتميز المفهوم الإسلامي للكرامة الإنسانية من كون المفهوم غير خاضع للظروف الطارئة على الإنسان، فهو شامل عام، وهذا ما تدل عليه آية التكريم في سورة الإسراء: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}، فالآية لم تخص مزية مطلق التكريم بجماعة المؤمنين، ولا بالموحدين، ولا بالعرب دون العجم، ولا بظرف زمني ينتهي، ولا بمالٍ أو جاهٍ أو نسبٍ، بل إنَّ هذا التكريم الإلهي شاملٌ وعامٌّ للبشر كافة، وهو موجود في الحاضر والمستقبل، فهو مختص بالنوع الإنساني لا بأفراده.

٣. الإنسان مفطور على محبة الكرامة، مجبول على الميل نحو الشعور بتفضيل جنسه ونوعه، وهذه الفطرة مستقرة في الطبيعة الإنسانية، نحو جميع الخلال والخصال المستحسنة لا

تفتقر في أصل وجودها لمعرفة تفاصيل التشريع الإلهي للإنسان، فإذا جاءت التفاصيل الشرعية تلقاها الإنسان بالقبول لفاعلية الفطرة.

٤. إن المجتمعات البشرية لا يمكن أن تترك دون سلطان الجماعة، وإلا حلت الفوضى، وليس المقصد الاستغناء بهذا الإلزام، والقضاء على سلطة الضمير، والعدول عن ضبط المرء نفسه، وإنما تحضر سلطة الجماعة وتهيمن كلما ضمر سلطان النفس لدى الأفراد.

٥. لا بد أن تكون المعرفة بمسوغات الإلزام الإخلاقي ومبرراته سابقةً له، فكما يعبر بعض الباحثين أن معرفة مبررات القانون والاقتناع بعدالته يجذب النفوس إلى امتثاله، ويغريها بطاعته عن محبة وطواعية.

٦. من واقعية الإسلام أنه راعى حاجات الإنسان ومطالبه الجسدية والروحية معا، فلم يقتصر على جعله جسدا من غير روح كما تصوره الفلسفة المادية التي تختزل الإنسان في مطالب الجسد المحض، فتفتح على الإنسان أبواب الجحيم والتعاسة الروحية، فحتى لو افترضنا جدلا عدم وجود عقاب أخروي كما يعتقد المؤمنون في كل الديانات، فالانهماك في اللذات الجسديَّة -خلافا لما يُتَوَهَّم بادي الرأي- هو أقصرُ طريقٍ للتَّعاسَةِ الرُّوحيَّة.

٧. من معالم التكريم الإلهي آيات التساوي في أصل الخلق، والمفاضلة على أساس التقوى، فلا يوجد آية في القرآن تُفَضِّل جنسا أو لونا أو عرقا بإطلاق، أو تمنحه مطلق الشرف بمجرد الانتساب، وإنما أساس المفاضلة والتكريم عند الله بالتقوى فحسب.